

في الاجتماع النضوي

تطور اللغة وارتقاؤها

أثر العوامل الأوربية المقصورة: التجدير في اللغة

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة نواذ الأول

تبدو حركة التجديد المقصود في مظاهر كثيرة من أكبرها
أثراً في التطور النضوي الأمور الآتية:

١ - تأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية ،
واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها أو مصطلحاتها ، وانتفاعهم
بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبي والعملي . فلا يخفى ما لهذا كله من
أثر بليغ في نهضة لغة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة
ثروتها . والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم الغابرة وفي العصر
الحاضر . فأكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر
بني العباس يرجع إلى انتفاع العلماء والأدباء باللغتين : الفارسية
والإغريقية . فقد أخذوا في ذلك للمصر يترجمون آثارها ،
ويقبون عليها بالشرح والتعليق ، ويحتفلون بها في مجوسهم ،
ويحاكون أساليبها ، ويقتبسون منها عدداً كبيراً من المفردات

أمين والاهتمام بمسير قناة للسويس ؟

وهل صور هذا الكتاب جهود طلعت حرب في إنهاض
« الجمعية الخيرية الإسلامية » ؟

هل صور هذا الكتاب جهاد طلعت حرب في إعزاز
للشخصية الأدبية ؟

إن كتاب الأديب مصعاني كامل الفلكي على نفاسته قد أغفل
هذه الجوانب ، فهل يعود إلى ترجمة طلعت حرب من جديد
لنعرف كيف يصير الأديب رجل عمل واقتصاد ؟

هنا المشكلة الحقيقية وهي درس الصلة بين الأدب والمال ،
فأين من يفهمنا كيف صار طلعت حرب الأديب طلعت حرب
الاقتصادي ؟ وأين من يفهمنا كيف جاز أن ينتقل الرجل من نقد
الألغاز إلى نقد الأموال ؟

زكي مبارك

العلمية وغيرها ، ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة
وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ؛ فانتفع بذلك متن اللغة العربية ،
وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلوم . ويرجع كذلك
أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في العصر الحاضر
إلى انتفاع الصحفين والأدباء والعلماء باللغات الأوربية الحديثة ،
وعما كانوا لأساليبها وتدريبهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها ،
واستغلالهم في مؤلفاتهم ومترجماتهم لمتجات أهلها في شتى ميادين
الحركة الفكرية . ولغة الكتابة بفرنسا في العصر الحاضر مدينة
بأهم نواحي رقيها إلى تأثرها باللغتين الإغريقية واللاتينية من جهة ،
وباللغات الأوربية الحديثة من جهة أخرى . فنجد « عصر النهضة »
لم يفتك أدباء فرنسا وعلماؤها دائبين على اقتباس المفردات اللاتينية
واليونانية القديمة ، وعما كاة أساليب هاتين اللغتين ، وترسم
قواعدها ومناهجها في البحث^(١) . وقد أخذوا منذ عهد غير بعيد
يقتبسون كثيراً من المفردات والأساليب من اللغات الأوربية
الحديثة وخاصة الإنجليزية والألمانية ؛ ولولا آلا المفردات التي
اقتبسها المحدثون من أدباء ألمانيا وعلماؤها من اللغة اللاتينية
وما تفرغ عنها ومن اللغات الأوربية الحديثة ، وبخاصة للفرنسية
والانجليزية ، ما قويت لغة الكتابة بألمانيا على أن تصل إلى الشاؤ
الذي بلنته الآن ومثل هذا يقال في معظم لغات الكتابة
في العصر الحاضر

وكثيراً ما تقتبس لغة الكتابة عن اللغات الأخرى مفردات
لها نظير في معناها الأصلي . وكثيراً ما تقتبس مفرداً من لغة ،
وتقتبس نظيره في الدلالة عن لغة أخرى . وإلى هذه الظواهر
وما إليها يرجع السبب في كثرة الألفاظ المترادفة (المتراك
المعنى) في لغات الكتابة . فما يذهب إليه بعضهم من أن المترادف
بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لا وجود له في اللغات ليس صحيحاً
إلا فيما يتعلق ببعض لغات الهادئة التي تظل بآمن من الاحتكاك
باللغات الأخرى . أما لغات الكتابة التي يستعمل بقاؤها بمزج
عن غيرها ، ولغات الهادئة التي ياج لها هذا الاحتكاك ، فلا تخلو
من المترادف بالمعنى الصحيح للسبب الذي ذكرناه

٢ - إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة

(١) انتشرت بفرنسا حركة المحاكاة للقواعد والأساليب اللاتينية
بفضل كتاب القرن السابع عشر ، وعلى الأخص بلزك وديكارت وبوسويه

وقد ارتضى الأدياء والمعلماء بعض قواعد عامة في وضع هذه الألفاظ، ويستمتعون عادة في تكوينها بالبحث والاشتقاق الأكبر ومزج كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة . ويستمدون أصولها من اللغات الحية أو الميتة ، وخاصة اللاتينية واليونانية القديمة . وكثيراً ما يختصان في تكوينها بأكثر من لغة واحدة . فمن هذه المفردات ما هو مؤلف من لغتين « سوسولوجيا » أي علم الاجتماع : فصدر الكلمة « سوسيو » من أصل لاتيني معناه الجمعية ، وعجزها « لوجيا » من أصل يوناني معناه المقال أو البحث أو الخطبة = " Sociologie " : du latin " societas " (" société, et du grec " logos " = discours) بل منها ما هو مؤلف من ثلاث لغات « بيسيكلت » أي الدراجة ، فإن « بي » من أصل لاتيني يدل على التثنوية ، و « سيكل » من أصل يوناني معناه الدائرة ، وعجز الكلمة علامة فرنسية للتصغير (Bicyclette : du latin "bi" = deux fois, et du grec "kuklos" = cercle, dt du suffixe diminutif français). وقوام هذه المفردات هو التواضع والاصطلاح . ولذلك كثيراً ما تختلف معانيها اختلافاً كبيراً أو كثيراً عن معاني الأصول التي استمدت منها

ولا تبقى هذه الألفاظ جامدة على الحالة التي وضعت عليها ، بل ينالها ما ينال غيرها من المفردات ، وتخضع في تطورها للصوت والدلالى لنفس القوانين العامة التي تخضع لها الألفاظ الأصلية ؛ فبمجرد أن يقذف بها في التداول اللغوي ، وتتناقها الألسنة ، تقلت من إرادة مخترعيها وتخضع لنواميس الارتقاء العامة المسيطرة على ظواهر الصوت والدلالة . فاللفظ الموضوع أشبه شيء بمحجر يقذف به القاذف في جهة معينة بقوة خاصة ؛ فإنه بمجرد أن يفارق يده يخضع في سيره لقوانين ثابتة صارمة لا يد للقاذف ولا لثيره في تعطيلها أو وقف آثارها . ولذلك يختلف الآن النطق بالألفاظ الموضوعية ، ويختلف رسمها باختلاف الأمم واللغات . والأسلوب للصوت الذي كانت تلفظ به متدقرن أو قرنين مثلاً غير الأسلوب للصوت الذي تلفظ به الآن . وقد أخذ كثير منها عند جميع الكتاب أو عند بعضهم ينحرف في دلالاته نفسها عن المعنى الذي وضع له في الأصل

علي عبد الواحد راقى

لسانيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن معان لا يجدون في المفردات المستعملة ما يبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو لمجرد الرغبة في استخدام كلمات غريبة أوفى للترفع عن المفردات التي لا كتبها الألسنة كثيراً وبكثرة الاستعمال تبث هذه المفردات خلقاً جديداً ، ويحول ما فيها من غرابة ، وتندمج في التداول المألوف . ولا يخفى ما لذلك من أثر في نهضة لغة الكتابة واتساع متنها وزيادة قدرتها على التعبير . وقد سار على هذه الوتيرة بمصر في العصر الحاضر كثير من الأدياء والمعلماء والصحفيين ، فردوا بذلك إلى اللغة العربية جزءاً كبيراً من ثروتها المفقودة ، وكشفوا عن عدة نواح من كنوزها المدفونة في أجداث الميجات^(١)

٣ - خلق الأدياء والمعلماء لألفاظ جديدة . فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن أمور لا يجدون في مفردات اللغة المستعملة ، ولا في مفرداتها الدائرة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً . وقد لا يضطرهم إلى ذلك إلا مجرد الرغبة في الابتداع أو مجانبة الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو إبراز المعنى في صورة رائمة وتبنيته في الأذهان وتذليل سبل انتشاره بالإغراب في تسميته . وقد عم استخدام هذه الطريقة في الأمم الأوربية منذ القرن التاسع عشر ، وكثر التجاء الأدياء والمعلماء إليها بنوع خاص في تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية ، والمصطلحات العلمية والأحزاب والبادى السياسية والاجتماعية ، وفي التعبير عن بعض معان دقيقة في عالم الأدب والفلسفة ، فنامت مؤلفاتهم بهذه الكلمات المصنوعة وتأنف منها معظم المصطلحات في الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة . . . وما إلى ذلك ، وصيغ معظم هذه المصطلحات بسبغة دولية ، فأقرت المؤتمرات والهيئات العلمية الممثلة لمختلف الأمم الأوربية وعم استخدامها في لغاتها (تلفراف ، تليفون ، سوسولوجيا ، جيولوجيا . . الخ) ، وقد أجاز الجمع اللغوي بمصر الالتجاء إلى هذه الطريقة حيث تدعو إلى ذلك ضرورة ، بالألا يوجد في مفردات اللغة متداولها ومهجورها ما يعبر تعبيراً دقيقاً عن الاصطلاح المراد للتعبير عنه ولا يخفى ما لهذه الوسيلة من أثر في نهضة لغة الكتابة ، واتساع متنها ودقة مصطلحاتها وزيادة مرونتها وقدرتها على التعبير

(١) لسدينا الأستاذ أحمد حسن الزيات القديح العلى في هذا المضمار